﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر: 67]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

هذه الآيةُ بدايةُ أحوالِ القيامةِ التي خُتِمت بها السّورةُ، فهي بدايةُ النِّهاية، وهي مُرْتبطةٌ بالفصل الذي مَضَى؛ لأنَّ آياتِ الله الموجِبةَ لعبادته وحده، وهي قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، تولَّدَ منها ذِكْرُ الذين كفروا بها، وذِكْرُ الذين فجروا، وأمروه ﷺ أنْ يعبد غير الله، وهذه الآيةُ تُبيِّنُ لنا أنَّ كفرَهُم وفجورَهُم راجِعٌ إلى أنَّهم تنقصُهُم معرفةُ كُنْه جلالِه سبحانه وكُنْهِ عظمتِه وقدرتِه[1].

هـذه الآيـةُ مِن تمام ما قبلَها، وفيها نوعُ توكيدٍ له

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾: (طوي) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إدراجِ شيءٍ حتَّى يدرَج بعضُه في بعضٍ، ثمَّ يحمل عليه تشبيهًا، يُقال: طويتُ الثَّوْبَ والكِتابَ طَيًّا، أطْويهِ، ويُقال: طَوَى اللهُ عُمر الميِّت، والطَّويُّ: البئرُ المطْويَّةُ، فهذا معنًى، ويُعبَّر بالطَّيِّ أيضًا عن مُضيِّ العُمُر، يُقال: طَوَى اللهُ عُمُرَه، وقال الشّاعر: طَوَتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْر.

وقولُه تعالى هنا: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ يصِحُّ أنْ يكونَ مِن الأوَّلِ، على جهة الاستعارة المكنيَّة في: (السّماوات)، وإثباتُ الطَّيِّ لها تخييلٌ، ويصِحُّ أنْ يكون مِن الثّاني، والمعنى: والسَّماوات مُهْلَكاتٌ[2].

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقته بآل حم، ص: 418.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، (طوى).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الآيـةُ تُحلِّلُ أنْفُسَ القومِ الكافرينَ المُشْرِكينَ

تُقرِّرُ هذه الآيةُ الكريمةُ أنَّ الذين كفروا بآيات الله، وأشركوا به غيرَه، وأمروا نبيَّه محمَّدًا ﷺ بعبادةِ غيرِه ما عظَّموا اللهَ كما يجبُ له، فإنَّه لو اسْتُغْرِقَ الزَّمانُ في عبادته وخالصِ طاعته بحيثُ لم يخلُ شيءٌ منها عنها؛ لَما كان ذلك حقَّ قدرِه، فكيف إذا خلا بعضُه عنها؟ فكيف إذا عُدِل به غيرُه؟ معَ أنَّ أحوالَ الأرضِ والسَّماواتِ، مِن أنَّ الأرضَ في قبضته، يتمكَّنُ منها تمامَ التَّمكُّن، والمقبوضُ لا تصرُّفَ له ولا تحرُّكَ، والسَّماواتُ مطويَّةٌ أفلاكُها وآفاقُها بيدِه تعالى، وذلك كلُّه على جهة التَّمْثيلِ، ثمَّ خُتِمَتِ الآيةُ بتنْزيه الله عن كلِّ نقصٍ، وعلوِّه عن كلِّ ما يُقال في حقِّه ﷻ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الوَصْلِ بالواو:

الآيـةُ تنتقلُ إلى وصفِ يوم القيامة وأحوالِ الفريقَيْنِ فيه

الواو عاطفة، عطفت جملة: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ على جملة: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ انتقالًا مِن تقرير ملك الله عوالم الدُّنْيا إلى تقرير عظمة ملكه تعالى في العالَم الأخرويِّ الأبديِّ؛ إشارةً إلى أنَّ الذين كفروا بآيات الله الدّالَّة على ملكوت الدُّنيا قد خسروا بترك النَّظر، فلو اطَّلَعوا على عظيم ملك الله في الآخرة لقدروه حقَّ قدره، وعلى هذا يكونُ قولُهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ معترضًا بين الجملتَيْنِ؛ اقتضاها التَّناسُبُ مع جملة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، ويجوز أنْ تكون جملةُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ معطوفةً على جملة: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وجملةُ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ معطوفةً على جملة: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، والمعنى هو هو إلّا أنَّ الحالَ أوضحُ إفصاحًا عنه[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 469.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 61.

بلاغة: (ما) النّافية:

مَدُّ الألف في (ما) يتناسبُ مع عظيم جهلِهم بعظمة الله

كلمة (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ نافيةٌ غيرُ عاملةٍ، والماضي بعدها باقٍ على مُضيِّه، والمنفيُّ مجموعُ قوله: ﴿قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾، والمعنى: فما أحسنَ هؤلاء، ولا أجملوا حين دعوك للإشراك باللّه، وما عبدوه حق عبادته؛ إذ أشركوا به[1].

بلاغةُ المعنى الثّاني لجملةِ النَّفي:

تعدُّدُ المعنى الثّاني للجملة المنفيّة دليلُ سخائها

التَّقْديرُ المنفيُّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ هو التَّفكُّرُ في الأمر بحسبِ نظَرِ العقلِ وبناءِ الأمرِ عليه، وأصلُ هذه المادَّةِ يدلُّ على مبلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِه ونِهايتِه، وهذا القَدْرُ يُرادُ به معنًى آخَر مع إرادتِه في السّياقِ، بدليلِ تقرير الكفرِ بآياتِ اللّه، وهو معنى التَّعظيم، فالأسلوبُ عند الطّيبي مِن بابِ الكنايةِ؛ لأنَّ تعظيمَكَ الشَّيءَ واحترامَكَ إيّاه، وقيامَكَ بواجبِه مُستلزِمٌ لتقديرِكَ إيّاهُ في نفْسِكَ حقَّ تقديرِه، وهو مُستلزِمٌ لأنْ تكون قد عَرَفْتَه حقَّ معرفته، فذُكِرَ اللّازمُ الوَسَطُ، وأُريدَ الملزومُ، كما يُقال: فلانٌ نحّارٌ، أي: مِضْيافٌ، بدَلَ: مهزول الفصيل، وهو عندَ الزَّمخشريِّ - بناءً على ظاهر لفظه - مِن المجاز المرسلِ الذي أُطْلِق فيه السَّببُ المُركَّبُ على المُسبَّب، قال: لَمّا كان العظيمُ مِن الأشياء إذا عرَفَه الإنسانُ حقَّ معرفته وقدَّرَه في نفْسِه حقَّ تقديرِه؛ عظَّمَه حقَّ تعظيمِه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾، وهو عند ابن عاشور مِن الاستعارة التَّمثيليَّة، قال: وهو تمثيل لحال الجاهل بعظمة شيء بحال مَن لم يُحقِّق مقدار صبرة، فنقصها عن مقدارها، فصار معنى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ ما عرَفوا عظمتَه؛ إذ لم يُنزِّهوه عمّا لا يليقُ بجلاله مِن الشَّريك في أُلوهيَّتِه[2].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 549.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (قدر)، والطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 13/ 430، والزمخشري، الكشاف: 13/ 429 - 430، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 61، وابن منظور، لسان العرب: (قدر).

علَّةُ التَّعبير باسْمِ الجلالة:

هذا الإظهارُ في أحسَنِ مواطنه

كان مِن الممكن أنْ يُقال: (وما قدروه حقَّ قدره)، بعود الضَّمير على اسم الجلالة في الآية السّابقة: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ولكنَّ القرآنَ أظهرَ اسم الجلالة، فقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾؛ للإشارةِ إلى كمال قيامِ حُجَّةِ الله عليهم، فكلُّ مخلوقاتِه تنطقُ بعظمتِه تعالى وبكمالِه وبجلالِه وبجماله، فهو الإله الحقُّ، ولا إلهَ سواهُ، ففيه إنكارٌ لطيفٌ عليهم، أنْ يكون منهم كفر وشرك به، وتعليقٌ على النَّفي بالتَّعجُّبِ والتَّوبيخِ والتَّشهير وما جرى في هذا الطَّريق مِن المعنى، ولو قيل: (وما قدروه حق قدره)؛ لَما تناسَبَ مع تقرير عظمته التي لا يحُدُّها حدٌّ، ولا يأتي عليها عَدٌّ.

دلالةُ الإضافة:

ظـهـرت لـهـم سـمـاءُ الأدِلَّـةِ فكفروا بها

قولُه تعالى: ﴿حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ مفعولٌ مطلقٌ، مِن إضافة الصِّفة إلى الموصوف، أي: ما قدروا الله قدرَهُ الحقَّ، فانتصَب: ﴿حَقَّ﴾ على النّيابة عن المفعول المطلق المُبيِّن للنَّوع[1]، وفي الإضافة دلالة ثبوت الصِّفة للموصوفِ على جهة عدم الانفكاك، وبلوغِ الموصوفِ فيها كلَّ مبلغ ممكن، ووراء هذا مِن المعنى كمالُ ظهور أُلوهيَّته تعالى وعظمتِه في الكونِ، مِمّا ينبغي أن يتأسَّسَ عليه أن يقدره العبادُ حقَّ قدرِه، ففي الإضافة إبلاغٌ في الإنكار عليهم أنْ يتَّصِفوا بهذا النَّفي، وفي ذمِّهم، والتَّشْهيرِ بهم.

بلاغةُ جملة الحال:

كيف لا يقدرون الله حقَّ قدرِه، وهو ذو القُدْرَةِ الكاملةِ التّامَّةِ؟

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ واو الحالِ، وصاحبُ الحالِ اسمُ الجلالةِ في جملة: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾، وجملةُ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ معطوفةٌ عليها، والمعطوفُ على الحالِ حالٌ مِثْلُه، فلَمّا ذكَر تعالى تعظيمَ كلِّ شيء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 61.

يُنْسَبُ إليه بجملةِ صاحبِ الحال؛ دلَّ على باهرِ قدرته الذي هو لازمُ القَبْضِ والطَّيِّ بما يكونُ مِن الحالِ في طَيِّ هذا الكَوْنِ[1]، والمقصودُ مِن هذه الحالِ المُؤكِّدةِ في المعنى لِما قبلَها التَّعجيبُ مِن عدم قدرهم اللّهَ حقَّ قدرِه، وتوبيخُهم على ذلك، وذمُّهُم والتَّشْهيرُ بهم.

نكتةُ تقديم (الأرض) على (السماوات):

قدَّم القرآنُ مثلَ الأرضِ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ على مَثَل السّماوات في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ لمباشرةِ المُخاطَبين للأرضِ، ومعرفتِهم بحقيقتِها[2]، فإدراكُ الحُجَّةِ بها أوَّلًا أبلغُ، وكذلك التَّهديدُ والتَّرهيبُ بفنائها أوَّلًا أبلغُ، وفي هذا التَّرتيبِ أيضًا إرشادٌ للمُتلقّينَ عمومًا وأهلِ الكفرِ والشِّركِ خصوصًا إلى التَّرقّي في إدراكِ عظمةِ اللّه، والتَّعرُّفِ عليه، والعِلْمِ بصفاتِه العَليَّةِ.

إذا قَرُبَ الدَّليلُ مِن النَّفْسِ؛ كانَ أشدَّ وضوحًا لها

علَّةُ التَّعبير بـ: ﴿جَمِيعًا﴾:

جعَل القرآنُ ﴿جَمِيعًا﴾ حالًا مِن (الأرض)، وإنَّما عبَّر بهذه الحالِ؛ تمهيدًا ومناسبةً لباقي المَثَلِ: ﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ لأنَّ مادَّتَه تدلُّ على تَضامِّ الشَّيْءِ، يُقال: جَمَعْتُ الشَّيءَ جَمْعًا[3]، فهو جَمْعٌ ناشئٌ عن تضامٍّ، وهذا ظاهرٌ حاضرٌ في القَبْضِ والقيامِ.

هيَّأتِ الكلمةُ لِما بعدَها، ومهَّدت له

بلاغةُ القيد بـ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيدٌ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾؛ سواءٌ كان متعلِّقًا بمحذوفٍ، على أنَّه حالٌ مِن القبضة في قوله: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾، أو متعلِّقًا بها على تضمينها معنى مقبوضة[4]، والغرضُ مِن هذا القيدِ زيادةُ بيانِ عظمتِه وقدرتِه تعالى، بتهويلِ

الأرضُ جميعًا قبضتُه في الدُّنيا ويومَ القيامة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 469.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 469.
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (جمع).
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 536.

هذا الحدثِ، وبَثُّ الرُّعْبِ في نفوسِ المخاطبينَ؛ لتنبيههم على فناءِ الدُّنْيا وقيامِ السّاعةِ، وقال البقاعيُّ: ولَمّا كان في هذه الدُّنيا مَن يدَّعي المُلْكَ والقهرَ والعظمةَ والقدرةَ، وكان الأمرُ في الآخرة بخلاف هذا لانقطاعِ الأسبابِ؛ قال: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1].

علَّة التَّعبير بـ: ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وتعريفها بـ(ال):

في هـذا القيد استحضارٌ لأحوالِ الخَلْقِ على الجُمْلةِ معَ حال الأراضينَ والسَّماواتِ

خَصَّ القرآنُ هذا الاسم للحياة الآخرة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ إشارةً إلى قيام النّاسِ فيه للبعثِ والنَّشْرِ والحَشْرِ والحسابِ والعقابِ والثَّواب وغيرِ ذلك، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: 6]، وفي ذلك بيانٌ لِما يكونُ فيه الخَلْقُ في ذلك اليوم مِن رُعْبٍ وأهوالٍ جِسامٍ فَخْمَةٍ؛ لأنَّهم سيقومون للذي لا يشِذُّ شيءٌ مِمّا في الأراضينَ السَّبْعِ والسَّماواتِ السَّبْعِ عن سُلْطانه، فهذا القيدُ ثابتٌ في المعنى لجملة: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ أيضًا.

وقد تأسَّسَ إفادةُ المقصودِ مِن القيدِ: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ على ما يعهده المخاطَبون في بيان القرآن الكريم، مِن ذِكْرِ هذا اليوم، فـ(ال) في: ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ للعهد الذِّهْنيِّ المرتبط بتلقّي آي الذِّكرِ الحكيم.

سِرُّ الوَصْلِ بالواو:

تعدُّدُ المثَلِ إبلاغٌ في إقامة الحُجَّةِ والامتنانِ عليهم وترهيبِهِم

قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ معطوفٌ بالواو على قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ لِما بينهما مِن التَّوسُّطِ بينَ الكمالَيْنِ، فكلٌّ منهما خبرٌ في اللَّفظِ والمعنى، وحسَّنَ الوصلَ بينهما التَّقابلُ بين الأرضِ جميعًا والسَّمواتِ السَّبْعِ، واتِّفاقُهما في الدَّلالة على غاية عظمة الله وكمال قدرته، مِمّا ينبغي أنْ يترتَّب عليه أنْ يُقدره العبادُ حقَّ قدره.

سِرُّ فَصْلِ لفظ ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾:

فصَل القرآنُ جملة: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنَّ ما قبلَها يُنْتِجُها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 469.

بعضُ البيانِ مِصباحٌ لبعضِه؛ يُفهَمُ في نورِه

ويُنتِج ما بعدها مِن جملة: ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ ولأنَّها وما بعدها تحقيقٌ وتوكيدٌ لِما قبلها، فبينهما كمالُ اتِّصالٍ؛ فلهذا غابتِ الواوُ، ويجوزُ أنْ تكون هذه الجملة استئنافًا ابتدائيًّا باستئناف التَّسْبيحِ والتَّنْزيهِ والتَّمجيد، وذلك عِزُّ الأُلوهيَّة، في قلوبِ أوليائِه الذين قَدَّروه حقَّ قدْرِه[1].

علَّة التَّعبير بـ: (سبحان) مادَّةً وصيغةً:

تنزَّهت ذاتُه سبحانه عن كلِّ نقص، وكملت

عبَّر القرآن بكلمة (سبحان) في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾؛ لأنَّ قولَه تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ يقتضيها؛ لأنَّها تدلُّ على كمال الذّات، وللتنزيه عن كلِّ عجز ونقص؛ إذ مِن أوصافه كذلك، فهو المُنزَّهُ عن كلِّ عجز ونقص، و(سبحان) مصدرٌ منصوبٌ بفعل محذوفٍ، سدَّ مَسَدَّ فعلِه، أي: نُسبِّحُه سبحانًا، أو أُبَرِّئُ اللهَ مِن السّوءِ براءةً[2]، فهو الأبلغُ في الدَّلالة على تنزيه ذاته سبحانه.

علَّة التَّعبير بـ (تعالى) مادَّةً وصيغةً:

تنزَّهت صفاتُه تعالى عن كلِّ نقصٍ، وكملت

اقتضَى قولُه تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أنْ يكونَ في الفاصلة قولُه: (تعالى)؛ وذلك لأنَّ المُحدَّث عنهم أشركوا مع الله غيرَه في العبادة، وساووه بغيره؛ لقوله تعالى في السِّياق القريب: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، وقولِه: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾؛ ولذلك جاء قبل الآية: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾، والتَّقديمُ في قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ يفيد القصر، وهو مِمّا يُقرِّر الوحدانيَّة، وينفي الشَّريكَ، ولذلك فإنَّ مَن أشركَ منهم؛ فهو مِمَّن وصفَهُم اللهُ بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 433.
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط، فصل السّين، باب الحاء.

حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. وتخصيصُ لفظ التَّفاعُل: (تعالى)؛ لمبالغة ذلك منه، لا على سبيل التَّكلُّف كما يكون مِن البشر[1]، والمعنى: أنَّ عُلوَّه عن ذلك في غايةٍ مِن العُلوِّ لا يكون وراءَها غايةٌ؛ لأنَّه لو كان له شريكٌ؛ لنازَعَه هذه القدرةَ أو بعضَها؛ فمنعَه شيئًا منها، وهذه معبوداتُهُم لا قدرةَ لها على شيءٍ[2].

معنى (عن) ودلالة التَّعبير بها:

تجاوَزوا في حقِّه تعالى وهو المُنَزَّهُ المتعالي عن مِثْلِ ذلكَ منهم

الحرفُ: (عن) أصلُ معانيه المُجاوَزة، وهو أشهرُها، ولم يُثْبِت له البصريّون غيرَه، وهو مَعْناها في الآية، فدلَّ التَّعبيرُ بها على أنَّ شِرْكَ أهلِ الشِّركِ لا يَقْتربُ مِن ساحةِ الأُلوهيَّةِ الحَقَّةِ، وأنَّ هؤلاءِ الشُّركاءَ لا يكادون يقتربون منها؛ وذلك مؤسَّسٌ على استحضار معنى البُعْدِ والعُلوِّ في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾، أي: ما أبعد وما أعلى مَن هذه قدرتُه وعظمتُه عن إشراكهم أو عمّا يشركونه مِن الشُّركاءِ، فكلمة: (عن) تتعلَّقُ بما قبلها بهذا التَّأويلِ[3].

بلاغة: (ما) مصدريَّةً ومَوْصولةً:

تنزيهُ اللهِ عن الشِّرْكِ تنزيهٌ له عن الشُّركاءِ، والعَكْسُ صحيحٌ

كلمة (ما) في قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يحتمل أنْ تكون مصدريَّةً، فتكون هي وما بعدها في تأويل مصدرٍ مجرورٍ بـ (عن)، أي: عن شركِهم، ويحتمل أنْ تكون موصوليَّةً، وجملةُ: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ صلة لها، أي: عن الذي يشركونه مِن الشُّرَكاءِ، وعلى الأوَّلِ ففَضْلُ المصدرِ المؤوَّلِ على الصَّريحِ نظْمُ إشراكِهم فعلًا مضارِعًا؛ ففيه دلالةٌ على اطِّرادِ تنزيهِه وكمالِه تعالى، كلَّما تجدَّدَ مِن أهل الكفر والشِّرْكِ مَظْهَرٌ مِن مظاهرِ شِرْكِهم، وهذا يعني عظمةَ ما يكشفُ بُطْلانَ شِرْكِهم ممّا يُبينُ عن تنزيه ذاتِه وصفاتِه - ﷻ - وكمالِهما،

(1) الراغب، المفردات، ص: 345، والتلب، بلاغة تشابه الأطراف في القرآن الكريم، (ﷻ) نموذجا، ص: 35.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 470.
(3) المرادي، الجنى الداني، ص: 245، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 611، والآلوسي، روح المعاني: 24/ 27.

وعلى الثّاني ففَضْلُه على المصدريَّةِ نَظْم: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ صلةً للموصولِ (ما)، ففيه دلالةٌ على التَّعجُّبِ مِن حالِهم مِن الشِّرْكِ، فهُم يُشْرِكونَ به تعالى، واللهُ مُنزَّهٌ ذاتًا وصفاتٍ، على ما يدلُّ عليه أحوالُ مخلوقاتِهِ، فهُم يتجرَّؤون عليه تعالى كُفْرًا وشِرْكًا، وكلُّ شيءٍ يدلُّ على أنَّه لا يليقُ به ذلك الكُفْرُ ولا ذلك الشِّرْكُ، وفي إبهام (ما) تصويرٌ لحقارةِ معبوداتهم، وحذفُ متعلِّق: ﴿يُشْرِكُونَ﴾؛ لتحقير ذِكْرِ الشَّريكِ أو الشُّركاءِ في سياقِ تنزيهه - ﷻ - كأنَّ وراء ذلك مِن المعنى أنَّ مَن أبصر كمالَ الله ذاتًا وصفاتٍ؛ عدَل عن هؤلاء الشُّركاءِ، وانصرف عنهم بكُلّيَّته مُقْبِلًا بها على الله ربِّ العالمين.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»